المختصر من نثر



في طرق البحث عن مقاصد السور

عدنان عبد القادر


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل فافتتح بالبقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعتين، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً. رواه مسلم (٧٧٢).

عندما يقرأ المسلم هذا الحديث يداخله التساؤل: ما الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم يسترسل في كل سورة قرأها ولا يركع حتى ينتهي منها؟

لِمَ لَمْ يركع النبي صلى الله عليه وسلم في منتصفها، أو بعد الربع الأول من الحزب كما يفعله كثير من الأئمة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وفي ذلك من المصلحة

العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما ختم به، وتكميل المقصود من كل سورة. مجموع الفتاوى(١٣/٤١٤)

لذا يصبح الجواب على هذا السؤال من وجهين مرتبطين:

- **أولاً: الوحدة الموضوعية لكل سورة.**
- **ثانياً: ارتباط الآيات ببعضها.**

أولاً: الوحدة الموضوعية لكل سورة

كل سورة في القرآن الكريم تتناول موضوعاً واحداً، وتتلاحم آياتها لتغطية محاور هذا الموضوع من جميع جوانبه.

وممن أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية، وأحمد بن الزبير الغِرناطي من القرن السابع، والبِقاعي من القرن التاسع، وسيد قطب من القرن الرابع عشر وغيرهم.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨ هـ) فتكلم عن ذلك في تفاريق رسائله، من ذلك ما ورد عنه في مجموع الفتاوى:

- قوله: اشتملت سورة البقرة على تقرير أصول العلم وقواعد الدين. (٤١/١٤)وقال: فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض. (٤٦/١٤)
- وقال: سورة (ن) هي سورة الخُلُق - أي الأخلاق- الذي

هـو جمـاع الديـن الـذي بعـث اللّه بـه محمـداً ﷺ، قـال اللّه تعالـى فيهـا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/ ٤).

• وقال (٦١/١٦) : وختمهـا بالأمـر بالصبـر الـذي هـو جمـاع الخلق العظيـم في قولـه ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ (القلم/ ٤٨). (٧٠/١٦)

أمـا **أحمد بن الزبير الغرناطي** (٦٢٧-٧٠٨ هـ) فقـد ألـف كتابـاً سـماه (البرهـان في ترتيـب سـور القـرآن) في مجلـد واحـد تنـاول فيـه العلاقـة بـين السـور، حيـث بـيّن فيـه علاقـة كل سـورة بالتـي قبلهـا والتـي بعدهـا، وتنـاول في أثنـاء ذلـك -أحيانـاً - مقاصـد السـورة.

أمـا **برهان الدين البقاعي** (٨٨٥ هـ) فقـد ألـف تفسـيراً سـماه (نظـم الـدرر في تناسـب الآيـات والسـور)، طبـع في ثمانيـة مجلـدات، حيـث نقـل كلام الغرناطـي والحَرَالـي، ثـم زاد عليهمـا أضعافـه في تناسـب الآيـات فيمـا بينهـا وتناسـب السـور، وبـيّن فيـه مقاصـد السـور بمـا أدى إليـه اجتهـاده.

أمـا **سيد قطب** فقد كان مولعـاً بعرض أهداف وأسـاسـات كل سـورة قبـل البدء في تفسـيرها في كتابـه(في ظلال القرآن).

ثانياً: ارتباط الآيات ببعضها

ترتبـط كل آيـة في السـورة بالآيـة التـي قبلهـا والتـي بعدهـا، أي توجـد علاقـة ومناسـبة بينهمـا. ويسـمى هـذا العلـم بعلـم

المناسبة، وهو علم شريف، من تدبره ونظر فيه انفتح له باب عظيم في معرفة لطائف القرآن وأسراره.

وقد أشار إلى هذا العلم مجموعة من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية كما مر سابقاً، وابن العربي المالكي، والفخر الرازي، والزركشي والبقاعي والسيوطي وغيرهم.

قال **القاضي أبو بكر بن العربي** في «سراج المريدين»: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه في سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه. البرهان للزركشي (٣٦/١).

وقال **الشيخ أبو الحسن الشهراباني**: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب. البرهان للزركشي (٣٦/١).

وقال **الرازي** في سورة البقرة: من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته. مفاتيح الغيب (١٠٦/٧).

قال **الزركشي**: واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، وقد قل اعتناء

المفسـرين بهـذا النـوع لدقتـه، وممـن أكثـر منـه الإمـام فخـر الديـن الـرازي وقـال في تفسـيره: أكثر لطائـف القـرآن مودعة في الترتيبـات والروابـط.

وقـال بعـض الأئمـة: مـن محاسـن الـكلام أن يرتبـط بعضـه ببعـض لئـلا يكـون منقطعـاً، وهـذا النـوع يهملـه بعـض المفسـرين أو كثيـر منهـم، وفوائـده غزيـرة. البرهـان (١/٣٥-٣٦)

قـال **محمد دراز** في حديثـه عـن قـراءة السـورة الواحـدة مـن القـرآن: تنقـل بفكرتـك معهـا مرحلـة مرحلـة، ثـم ارجـع البصـر كرتـين: كيـف بُدئـت؟ وكيـف خُتمـت؟ وكيـف تقابلـت أوضاعهـا وتعادلـت؟ وكيـف تلاقـت أركانهـا وتعانقـت؟ وكيـف ازدوجـت مقدماتهـا بنتائجهـا ووطّـأت أولاهـا لأخراهـا؟.. وأنـا لـك زعيـم بأنـك لـن تجـد البتـة في نظـام معانيهـا أو مبانيهـا مـا تعـرف بـه أكانـت هـذه السـورة قـد نزلـت في نجـم واحـد أم في نجـوم شـتى، ولسـوف تحسـب أن السـبع الطـوال مـن سـور القـرآن قـد نزلـت كل واحـدة منهـا دفعـة، حتـى يحدثـك التاريـخ أنهـا كلهـا أو جلهـا قـد نزلـت نجومـاً.. فـلا تـزال تنتقـل بـين أجزائهـا بـين حجـرات وأفنيـة في بنيان واحد قـد وضـع رسـمه مـرة واحـدة، لا تحـس بشـيء مـن تناكـر الأوضـاع في التقسـيم والتنسـيق، ولا بشـيء مـن الانفصـال في الخـروج مـن طريـق إلـى طريـق، بـل تـرى بـين الأجنـاس المختلفـة تمـام الألفـة، كمـا تـرى بـين آحـاد الجنـس الواحـد نهايـة التضـامّ والالتحـام. النبـأ العظيـم (١٥٤-١٥٥)

وقال ملخصاً قول الشاطبي في الموافقات: فقديماً قال الأئمة: إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية. (١٥٩)

لذا تتشوف نفس المسلم لمعرفة مقصد كل سورة ليسهل عليه ربط الآيات ببعضها لخدمة موضوعها وغرضها الرئيس وتغطيته من جميع جوانبه، فتتجلى له عظمة القرآن ويتذوق حلاوة زائدة، ويستشف دقائقه الخفية، فيخر ساجداً لتلك العظمة، ويحمد الله تعالى أن أكرم هذه الأمة وخصها بهذا الكتاب العظيم الذي عجز ألباء العرب ونقادها وبلغاؤها وأسيادها أن يأتوا بسورة من مثله، فخروا سجداً لسورة واحدة عند الكعبة –سورة النجم–، ولم يتمالك سيدهم وبليغهم الوليد بن المغيرة حتى قال فيه: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته. دلائل النبوة للبيهقي (١٩٨/٢)

فكيف يتوصل إلى مقصد كل سورة على حدة؟

حاولت جمع طرق التوصل إلى مقاصد السور من شتات،

فألفيتها كنزاً من الماس والدرر، فأحببت أن يشاركني فيها محبو كتاب الله تعالى.

فكانت هذه الرسالة المختصرة من الأصل خشية ملل القارئ، وسميتها «**المختصر من نثر الماس والدرر في طرق البحث عن مقاصد السور**».

وتتلخص طرق البحث هذه فيما يلي:
١- الموضوع المشترك بين أول السورة وآخرها.
٢- كلمات أو عبارات متكررة في السورة.
٣- تمييز السورة عن غيرها.
٤- الآيات الأخيرة من السورة التي قبلها.
٥- اسم السورة.
٦- وضوح موضوع السورة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله.
والحمد لله رب العالمين.

كتبه
عدنان عبدالقادر
الكويت - ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ

١- الموضوع المشترك بين أول السورة وآخرها

اقرأ أول السورة وآخرها، على سبيل المثال اقرأ أول خمس عشرة آية من السورة وآخر خمس عشرة آية منها، فالموضوع المشترك بينها غالباً ما يكون هو موضوع السورة. ويمكن توضيحه بالأمثلة الآتية:

أ- سورة البقرة

بدأت بقوله تعالى:﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. البقرة (٣).
وانتهت بقوله تعالى:﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ البقرة (٢٨٥).
موضوعها الإيمان بالله تعالى وحده، وهو توحيد الله تعالى بالعبادة والمحبة.

ب- سورة النساء

بدأت بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ النساء (١).
ثم شرع الله تعالى يذكر كيفية التعامل مع الأيتام والزوجات والميراث للوالدين والأولاد والأخوة.
وفي نهاية السورة قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ

مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾.النساء (١٧٦).

فالموضوع المشترك أن العالم كله أسرة واحدة وأنهم إخوة من رحم واحد، مما يقتضي التخلق وحسن التعامل بين الناس كتعامل إخوة النسب.

فسورة النساء تتكلم عن الأصل الثالث الذي تقوم عليه الأمة، ويجد به العبد حلاوة الإيمان، وهو التآلف وقوة الارتباط والعلاقة الحميمة والتحاب الذي يجب أن يتوفر في الجماعة المسلمة.

ج- سورة الأنبياء

تبدأ بقول الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ﴾ (١).

وتنتهي السورة بقوله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾(٩٦)، ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ (١٠٥).

فالموضوع المشترك بين أولها وآخرها هو: الساعة والبعث.

د- سورة مريم

بدأت السورة بقصة زكريا عليه السلام وفيها ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (٢)، ثم ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾(٧).

وانتهت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً. فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ

الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾ (٩٦-٩٧)، مما يشير إلى موضوع السورة وهو رحمة الله تعالى بالمؤمنين بما يرسل إليهم من المبشرات حين تكتنفهم الفتن، وتحيط بهم وتضيق بهم الأمور.

هـ- سورة المؤمنون

بدأت بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.(١-٢).

وانتهت بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (١١١)، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾(١١٧).

فالموضوع المشترك هو: فلاح المؤمنين وفوزهم في الدارين، وهلاك وخسران الكافرين في الدارين.

و- سورة القصص

بدأت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (٤-٦).

وانتهت بقصة قارون، ثم بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٤).

فالموضوع المشترك هو التمكين والاستقرار في الأرض للمؤمنين المتقين ممن لجأ إلى الله تعالى وطلب الأمان منه سبحانه، والهزيمة والاندحار والذل للمتعالين المفسدين.

ز- سورة الروم

بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿ آلم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١-٦).

وآخر آية في السورة هي قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٦٠).

فالموضوع المشترك بين أولها وآخرها هو: وعد الله تعالى، فموضوعها تحقق وعد الله للمؤمنين ولابد، وعدم تخلفه أبداً.

٢- كلمات أو عبارات متكررة في السورة

تجد في السورة أحياناً كلمات تتكرر في أولها ومنتصفها وآخرها. وربما تتكرر عبارات كاملة، فإذا ما أنعمت النظر علمت أنها تشير إلى موضوع السورة، من ذلك:

أ- سورة المائدة

تكررت فيها تصاريف كلمة الميثاق وأنواع المواثيق.

منها ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّه عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ (٧)، ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللّه مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٢)، ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٧٠).

وقال اللّه تعالى عن اليهود: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ﴾ (١٣) وقال سبحانه عن النصارى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾ (١٤).

ومن المواثيق المذكورة فيها: اليمين والوصية والإحرام وميثاق المائدة.

فهي سورة المواثيق التي أخذها اللّه تعالى على بني آدم وسحياسبهم عليها ولو كان نبياً كعيسى عليه السلام ﴿ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ ﴾ (١١٦).

ب- سورة الأعراف

كثيراً ما تجد كلمة الرسالة بتصاريفها تتكرر فيها:

قال اللّه تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦)، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحا ﴾ (٥٩)، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي

قَرْيَة ﴾ (٩٤)، ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ (١٣٣)، ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً ﴾ (١٦٢)، ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٣٤)، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً﴾ (٥٧)، ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٠٥)، ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٧٥)، ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٧٥)﴿ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ﴾ (٨٧)، قال نوح وهود عليهما السلام: ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦١، ٦٧)، قال موسى : عليه السلام ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤)، ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ (١٥٧)، ﴿إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (١٥٨)، ﴿فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﴾ (١٥٨)، ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ (٣٥)،

﴿لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (٤٣)، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ (٣٧)، ﴿وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (١٠١)، ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ (٧٩)، ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي ﴾ (٩٣)، ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي ﴾ (٦٢)،﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ (١٤٤)، ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ (٧٥)، ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٧)؛ فذكرت تصاريف عدة لكلمة الرسالة:

أرسلنا (٥٩، ٩٤، ١٣٣، ١٦٢)، لنرسلن (١٣٤)، يرسل (٥٧)، أرسل (١٠٥، ١١١)، أُرسل (٧٥)، أرسلت (٨٧)، رسول (٦١، ٦٧، ١٠٤، ١٥٧، ١٥٨)، رسل (٣٥، ٤٣، ٥٣)، رسلنا (٣٧)، رسلهم (١٠١)، رسالة (٧٩)، رسالات (٦٢، ٦٨، ٩٣، ١٤٤)، مرسل (٧٥)، مرسلين (٦، ٧٥).

فالسورة تتكلم عن الر سالة لإنذار الناس وتبشير المؤمنين، ولذا صاحبها موضوع النذارة ﴿ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ

مِّنْـهُ لِتُنـذِرَ بِـهِ﴾ (٢).
وقـول نـوح وهـود عليهمـا السـلام: ﴿ أَوَعَجِبْتُـمْ أَن جَاءكُـمْ ذِكْـرٌ مِّـن رَّبِّكُـمْ عَلَـى رَجُـلٍ مِّنكُـمْ لِيُنذِرَكُـمْ﴾ (٦٣-٦٩).
﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٨٤).
﴿ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٨).
فموضـوع السـورة هـو: الرسَـالة، مـا هـي رسـالة الرسـل؟ ومـا سـبب إرسـالهم؟ ومـا هـو جـزاء مـن تابعهـم؟ وجـزاء مـن عاداهـم؟ ومـا هـي المراحـل التـي سـيواجهها النبـي ﷺ مـن قبـل قريـش؟ وكيـف يتصـرف النبـي ﷺ حيالهـا؟

ج- سورة مريم
تجد فيها تكرار اسم الرحمن والرحمة.
إذ تكرر اسـم الرحمـن فيهـا سـت عشـرة مـرة ولـم يتكـرر هـذا العـدد في غيرهـا من السـور.
وتكـررت الرحمـة بتصاريفهـا أربـع مـرات:﴿ ذِكْـرُ رَحْمَـةِ رَبِّـكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّـا﴾ (٢)، وفـي قصـة مـريم ﴿ وَرَحْمَـةً مِّنَّـا ﴾ (٢١)، وفي قصـة إبراهيـم عليـه السـلام ﴿ وَوَهَبْنَـا لَهُـم مِـن رَّحْمَتِنَـا﴾ (٥٠)، وفي قصـة موسـى عليـه السـلام ﴿ وَوَهَبْنَـا لَـهُ مِـن رَّحْمَتِنَـا﴾ (٥٣)، ممـا يشـير إلـى كمـال رحمـة اللّٰه تعالـى بالمؤمنـين وبالأخـص زمـن الفـتن.

د- سورة الصافات
تجد فيها عبارات مكررة ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(١٢١)، ﴿إِنَّـهُ مِنْ عِبَادِنَـا الْمُؤْمِنِـينَ﴾ (٨١)، ﴿ إِلا عِبَـادَ اللَّـهِ الْمُخْلَصِـينَ﴾

(١٢٨)، ﴿ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩)، ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾(١٠٩)،﴿ سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾(١٢٠)، ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ (١٣٠).

فتستشف منها مكانة أولياء الله تعالى ابتداءً من الملائكة ﴿ وَالصَّافَّات صَفّاً﴾ (١)، ثم المؤمنين ومصيرهم ﴿ إلا عِبَادَ اللَّه الْمُخْلَصِين. أُوْلَئِك لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ (٤٠، ٤١)، ثم أخص أنبياء الله تعالى نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام كيف نجاهم الله تعالى، وخلصهم من مكر أقوامهم ومن المصائب التي أصابتهم، ثم العاقبة لهم ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِين ﴾ (١٧١- ١٧٨).

ثم انتهت بقوله تعالى: ﴿ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٨١).

٣- تميزها

ويقصد به تفرد السورة بآيات أو بجملة أو زيادة كلمة أو ترتيب تميزت به عن سائر السور التي تناولت الموضوع ذاته، فإذا ما أنعمت النظر وجدتها ترشدك إلى موضوع السورة.

مثال ذلك:

أ- سورة الأعراف

ذكرت في هذه السورة بعض الآيات التي تميزت بها عن سور أخرى.

منهاً قول الملأ لفرعون ﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الأعراف/ ١١١)، بينما في سورة الشعراء﴿ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الشعراء/ ٣٦)، فتميزت عن الشعراء بكلمة ﴿أَرْسِلْ﴾ بدلاً من ابعث.

وكذلك في قول الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف/ ١٦٢)، بينما في سورة البقرة ﴿ فَأَنزَلْنَا ﴾(البقرة/ ٥٩) بدلاً من﴿ فَأَرْسَلْنَا﴾، فقال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ لأن موضوعها الرسالة كما سبق بيانه.

ب- سورة الحجر

ذكرت قصة لوط عليه السلام في سورة الحجر كباقي السور،

وهـي الأعـراف والشـعراء والعنكبـوت والصافـات وغيرهـا، ولكنهـا ﴿ في سـورة الحجـر تميـزت بجملـة لا توجـد ﴿ في غيرهـا وهـي ﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ (٦٥).

لمـاذا يتبـع الأب أدبـار بناتـه؟ لمـاذا يسـير خلـف بناتـه؟ إذا مـا سـار في الطرقـات أو في السـوق، هـل يجعـل بناتـه خلفـه ويسـير أمامهـن فيجعلهـن عرضـة للشـباب والمعاكسـين؟ أم يمشـين أمامـه ويسـير خلفهـن وعينـاه كالصقـر عليهـن؟ لئـلا يتعرضـن لمعاكسـة الشـباب، فهـو يسـير خلفهـن ليحفظهـن.

هذا هو موضوع سورة الحجر وهو الحفظ.

وإذا مـا تتبعـت السـورة مـن البدايـة إلـى النهايـة وجـدت الحفـظ بيّنـاً واضحـاً فيهـا.

بـدأت السـورة بـ ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ (١)، والكتـاب هـو المكتـوب، وغالبـاً مـا يكتـب الكتـاب مـن أجـل حفـظ المعلومـات المدونـة فيـه، إمـا حجـة للكاتـب أو حجـة عليـه ككتابـة الديـن.

وقـد يقصـد بالكتـاب اللـوح المحفـوظ كقولـه تعالـى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل/ ٧٥)، واللـوح المحفـوظ هـو كاسـمة للحفـظ، فيتطابـق مـا كتبـه المَلَـكُ في صحيفتـه مـع مـا في اللـوح المحفـوظ، وكذلـك هـو محفـوظ بحفـظ اللّٰه تعالـى لـه.

وبعدهـا قولـه تعالـى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩)، فـاللّٰه تعالـى تكفـل بحفـظ كتابـه ودينـه.

ثـم قولـه سـبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا

لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ (١٦)، فالسماء محفوظة بالبروج والكواكب لرجم الشياطين بالشهب.

وبعدها قال سبحانه:﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾(١٩)، وفيه إشارة إلى التوازن البيئي وهو لحفظ الحياة على الأرض وهو توازن الهواء والنبات وآكلات الأعشاب، ثم آكلات اللحوم وهكذا؛ والنبات كذلك لحفظ الهواء بتوازن ثاني أكسيد الكربون مع الأكسجين.

ثم ذكر سبحانه بعدها قصة خلق آدم عليه السلام، وخلق إبليس وفيها﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾(٣٩-٤٢).

ففيها حفظ الله تعالى لعباده المؤمنين من إغواء الشياطين.

ثم حفظ الخلة والمحبة في الجنة بينهم﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(٤٧).

ثم حفظ السعادة بالأبدية﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٤٨).

ثم حفظ نسل إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾(٥٣).

ثم حفظ لوط عليه السلام لبناته ﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ (٨٠).

ثم ذكر قوم ثمود باسم ﴿أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ (٨٠)، لحجرهم الماء، وحفظهم له لقلته.

ثم حفظ النبي ﷺ من شر المستهزئين عند صدعه بالدعوة ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا

كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾(٩٤-٩٥).
فدار موضوع السورة حول الحفظ.

ج- سورة طه

قال السحرة بعد إيمانهم وسجودهم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه/ ٧٠)، فتميزت هذه السورة بتقديم هارون على موسى عليهما السلام، بينما في باقي السور قدم موسى على هارون عليهما السلام، ففي سورة الأعراف والشعراء ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الأعراف/ ١٢٢، الشعراء/ ٤٨)، إذ قال بعض السحرة: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ وقال آخرون: ﴿رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه/ ٧٠).

ومن المعلوم أن موسى أفضل من هارون وأن هارون تبع لموسى، ولا يخطر على ذهن مؤمن أن هارون أفضل من موسى عندما قدم في الذكر في سورة طه خاصة، وقد قدم موسى على هارون في سورتين سورة قبلها وأخرى بعدها فلا يتطرق إلى الذهن بأن هارون أفضل من موسى.

فلماذا تميزت سورة طه بتقديم هارون؟ فلا بد من البحث فيها؛ ماذا فعل هارون والذي من أجله قُدم في الذكر على موسى؟

في سورة طه والأعراف ذكر الله تعالى قصة هارون مع بني إسرائيل عندما عبدوا العجل، أما في سورة الأعراف فقد ذكر الله تعالى فيها قول هارون لموسى عندما أخذ برأسه يجره إليه﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف/ ١٥٠)، فأجمل الموقف ولم يفصل اللّه تعالى ماذا قال هارون لقومه، وهل أنكر عليهم أم لا، وإنما ﴿الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي ﴾. لماذا؟ هل هددوه قبل أن ينكر عليهم عندما عبدوا العجل: إن تكلمت قتلناك؟ أم باعتزاله إياهم دون إنكار؟ أم هددوه عندما بدت منه بوادر الإنكار من التغيظ وتعبيس الوجه دون تلفظ؟ أم تلفظ وأنكر عليهم وأمرهم بالمعروف؟ لم يذكر اللّه تعالى في الأعراف أياً من الأمور المذكورة التي قام بها هارون.

بينما في سورة طه بين اللّه تعالى ذلك ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (طه/ ٩٠)، فبين سبحانه أن هارون عليه السلام أمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، ودعاهم إلى التوحيد، فرفع اللّه تعالى ذكره ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ (فصلت/٣٣)، مما يبين ذلك أن تلك البهيمة وهو الكلب الذي يرفس ويرمى بالحجارة، ولعابه نجس، ويحرم امتلاكه بغير عذر؛ رفع اللّه تعالى ذكره عندما صاحب الدعاة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وهم أصحاب الكهف ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾(الكهف/ ١٨)، فكيف بالنبي المؤمن الذي أمرهم بالتوحيد ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (طه/ ٩٠)، ونهاهم عن المنكر ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ﴾ (طه/ ٩٠)، ألا يكرمه اللّه تعالى فيقدم اسمه على اسم موسى ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه/ ٧٠) حين لا يلتبس على الناس أفضلية موسى عليه؟ فتميزت سورة طه بذلك.

وهـذا هـو موضـوع السـورة، وهـو الدعـوة إلـى اللّٰه وطرقهـا، وهـذا ملاحـظ في السـورة.

هـ سورة الصافات

خصـت هـذه السـورة بذكـر المشـارق دون المغـارب فقـال سـبحانه ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (الصافـات/ ٥)، بينمـا إذا ذكـر المشـرق في سـائر السـور يذكـر المغـرب، ففـي سـورة الرحمـن ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾(الرحمـن/ ١٧)، وفي المعـارج ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (المعـارج/ ٤٠)، وفي المزمـل﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (المزمل/ ٩)، بينما تفـردت سـورة الصافـات بذكـر المشـارق مـن غيـر المغـارب، وقـد سـبق أن موضـوع سـورة الصافـات هـو مكانـة أوليـاء اللّٰه تعالـى، وأنهـم مشـارق الأرض بهـم تشـرق القلـوب وتسـتنير الطـرق، وبهـم تشـرق الأرض، فـإذا ذهـب الرسـل والعلمـاء والدعـاة

أظلمت الأرض، كمـا قـال أنس بـن مالـك رضي الله عنه: «عندما دخل النبـي صلى الله عليه وسلم المدينـة أضـاءت وأضـاء منهـا كل شـيء، وعندمـا تـوفي رسـول اللّٰه صلى الله عليه وسلم أظلمت المدينـة وأظلـم منهـا كل شـيء». رواه الترمـذي في الشـمائل(١/ ٢٢٢).

وكمـا قـال النبـي صلى الله عليه وسلم: «النجـوم أمنـة للسـماء، فـإذا ذهبـت النجـوم أتـى السـماء مـا توعـد، وأنـا أمنـة لأصحابـي فـإذا ذهبـت أنـا أتـى أصحابـي مـا يوعـدون، وأصحابـي أمنـة لأمتـي، فـإذا ذهـب أصحابـي أتـى أمتـي مـا توعـد» رواه مسـلم (٢٥٣١).

٤- الآيات الأخيرة من السورة التي قبلها

أحياناً تنتهي سورة بآيات تُلخص موضوع السورة التي بعدها، من ذلك سورة **الفرقان** التي انتهت بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ (الفرقان/ ٧٧) أي لا يعبأ اللّه تعالى بكم أيها الكفار، ولستم ذوي أهمية ولا يعتد بكم ولا يبالي بكم ولا مكانة لكم عنده مهما بلغتم القمة، فالذي يعتد به تجاهكم أنه فقط يدعوكم إلى عبادته وحده لئلا تحتجوا يوم القيامة، ولكنكم كذبتم فمصيركم الهلاك والعذاب الملازم لكم.

هذا هو موضوع سورة **الشعراء** التي تلي سورة الفرقان: أنه مهما بلغ المُلك أوجه، كمُلك فرعون الذي لم يقتصر على ادعاء الألوهية لنفسه بل ادعى أنه الرب الأوحد، فهذا المُلك الهائل والكنوز والعظمة والكبرياء لم يعبأ اللّه تعالى بها، إذ تلاشى في لحظة من الزمن﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (الشعراء/ ٦٦)، وأصبح أثراً بعد عين.

ومهما بلغ الكيد ذروته ككيد أعظم سحرة سكنوا الأرض، فإنه يتلاشى كما تلاشى سحر سحرة فرعون في طرفة عين ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٥-٤٧)، فلم يعبأ اللّه تعالى بهذا الكيد العظيم.

ومهما بلغ النسب والقرابة مبلغه بين الكافر والمؤمن فلن تنفعه هذه القرابة، كقرابة الخليل عليه السلام مع أبيه، إذ لم تنفع أباه فلم يعبأ اللّه تعالى بها ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ

يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧)، إذ يقول نبي الله إبراهيم عليه السلام يوم القيامة «يارب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: «يا إبراهيم ما تحت رجليك؟» فينظر فإذا هو بِذِيْخ (ذكر الضبع) ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار» رواه البخاري (٣٣٥٠). فلم يعبأ الله تعالى بالقرابة الحميمة ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ. ولا صَدِيق حَمِيم﴾ (١٠١).

ومهما بلغ في الشَّرف والحسب فلا يعبأ الله تعالى به، كطبقة الإقطاعيين الكفار في قوم نوح عليه السلام الذين كانوا يرون أنفسهم أنهم هم السادة الأشراف ذو الطبقة العالية الشريفة ويحتقرون المؤمنين ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ (١١١)، فلا قيمة لهم عند الله تعالى ماداموا معرضين عن الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ (١٢٠).

ومهما بلغت السيادة على الأرض وأصبحت الدولة هي الدولة الأولى والعظمى، ولها السطوة على بقاع الأرض فلا تستطيع دولة أخرى أن تقف أمامها، بل هم يبنون قواعدهم العسكرية في شتى بقاع الأرض كعاد قوم هود ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (١٢٨)، ويأخذون الإتاوات والضرائب من الدول الأخرى، والويل للدولة التي ترفض ذلك ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (١٣٠)، فهذه القوة العظمى تلاشت في يوم واحد ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ (١٣٩) فلم يعبأ الله تعالى بها.

ومهما بلغت الدولة في الحضارة والتقنيات والصناعة

والرفاهية مبلغها كثمود قوم صالح عليه السلام﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ. وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾ (١٤٧-١٤٩)، فلا وزن لها عند الله تعالى إذا ما أعرضت عنه ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ (١٥٨) في صيحة واحدة، فأصبحت كأن لم تكن وبقيت الأطلال والآثار للاعتبار ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ (هود/ ٦٨)، فلم يعبأ الله تعالى بها. حتى ولو كانوا هم أهل الأصالة بينما المصلح غريب من الخارج كقوم لوط، فإن الله تعالى لا يعبأ بهم ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٦٧)، فالحفظ والمكانة عند الله تعالى لا من حيث كونه أصلياً أو غريباً، فيهلك المفسد وإن كان أصلياً ويبقى المصلح وإن كان غريباً، فلا يعبأ الله تعالى بالأصل مع الفساد ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ (١٧٢- ١٧٣).

وقد تكون الدولة هي الأولى في الاقتصاد وهي الرائدة فيه، لكن مصدر اقتصادها المحرمات من الأموال كالربويات والتأمين المحرَّم والمقامرة، وبخس الناس أموالهم وأكلها بالباطل كأصحاب الأيكة قوم شعيب ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ. وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ. وَلَا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾(١٨١)، دولة متميزة بكثرة الأموال ولكن مصادرها محرمة لم يعبأ الله تعالى بها ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩).

إن كان الأمر كذلك فمن الذي يعبأ الله تعالى به؟

يعبأ الله تعالى بهذه القلوب الطاهرة الموحدة، وأنت أجلُّها

يا رسول الله﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ﴾ (١٩٣)، لا بالقلوب الفاسدة ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٠٠). فهو سبحانه بعظمته يحفظ القلوب الطاهرة من الملوثات والشكوك والشياطين ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ، وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَ٧مَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٢١٠-٢١١).

فأنت خير البشر وسيد ولد آدم وفخر الأنبياء، أنت في عين الله تعالى في كل حركة لك وسكون ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾(٢١٨)، بل ومن حبه لك وكرامتك أنه يراقب كل من يقلب لسانه ويتلفظ بالصلاة عليك من المصلين الساجدين ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾(٢١٩)، أي تقلب اسمك على لسان الساجدين، فإنه يسمعهم ويعلم بهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٢٠)، فيجازيهم عليه ويحفظهم. فكرامتهم عند الله تعالى تبع لكرامتك ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢١٥).

فهؤلاء هم الذين يعبأ الله تعالى بهم.

ولا يعبأ بأهل البلاغة وإن بلغوا القمة فيها ﴿ وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾(٢٤٤).

فلخصت آخر آيات سورة الفرقان هذه السورة ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَولا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾(الفرقان/٧٧).

٥- اسم السورة

إن مما يعين على معرفة موضوع السورة في بعض الأحيان اسمها، ومن أمثلته:

أ- سورة الحجر:

أصحاب الحجر هم قوم ثمود، قيل: سُمُّوا بهذا الاسم نسبة إلى قلة الماء نتيجة نزولهم على ماء قليل، فيقال: ثمد الماء إذا قل، والثمد هو الماء القليل، فنزلوا عليه، وكانوا يمنعون غيرهم من استعماله، وكانوا يحجرونه ويحفظونه من استعمال الغير، ومن قلته كان لهم يوم يستعملونه ويجعلون اليوم الآخر للناقة ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾(القمر/ ٢٨)، وقال تعالى: ﴿ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الشعراء/ ١٥٥)، فكانوا يحافظون على الماء حتى في استعمالهم ويحفظونه من استخدام غيرهم له.

وهذا المعنى الموافق لموضوع السورة وهو الحفظ كما سبق بيانه.

ب- سورة المؤمنون

هذه السورة تتكلم عن فلاح المؤمنين كما سبق بيانه.

ج- سورة النور

كيف يحصل العبد المسلم على النور الإلهي؟ وكيف يحافظ

عليه؟ هذا هو موضوعها.
يحصل على ذلك بالعفة وتجنب كل الأسباب المؤدية إلى الزنا.
لذا ذكر في بداية السورة تحريم الزنا وعقوبته وحدّه ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ (٢).
ثم تحريم القذف بالزنا وحدّه وعقوبته، لأن من أسباب شيوع الرذيلة قذف العفيفات وهو إطلاق الألسنة في انتهاك الأعراض، مما يؤدي إلى شيوع الاتهامات وإثارة الغرائز فيصبح الزنا جارياً على الألسنة وعلى الجوارح، فتنتهك الأعراض بالقذف وتشيع الجريمة بالظنون، ويتطرق الشك إلى الأنساب والأبضاع فتتحقق مقاصد الزنا؛ ولذا كانت عقوبته قريبة من عقوبة الزنا ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (٤).
وأعظم القذف ذاك الذي يطال أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾(١١)، مما يؤدي إلى شيوع الفاحشة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (١٩).
ثم تجنب ما هو أهون من ذلك وهو دخول البيوت بلا استئذان ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ (٢٧) لئلا يطلع على العورات فتثار الغرائز وتقع حينئذ الفاحشة والعياذ بالله.
ثم تجنب ما هو أبعد من ذلك وهو إطلاق البصر ﴿قُل

لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾(٣٠)، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (٣١) لأن النظر بريد الزنا.

ومما يثير غرائز الرجال التبرج، فعلى المرأة أن تتجنبه ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾(٣١)، وكذا تتجنب ما دون ذلك كضرب الأرجل المحلاة بالخلاخل أو الضرب بالأحذية ذات الكعاب لئلا يصدر الصوت الذي يثير الشهوة ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ (٣١).

ثم السعي لتزويج الشباب والفتيات ليستعف كل منهما بالآخر، فيحفظ الفرج إلا من الزوج، ويتجنب الوقوع في الزنا ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾(٣٢).

وأما من لا يستطيع النكاح فليسع بكل وسيلة للعفاف من صيام ودعاء وغيرهما ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّه مِن فَضْلِه﴾(٣٣).

فإذا تحقق ما سبق فإن الله تعالى متكفل بمنح نوره للعبد ﴿اللَّه نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾(١٩).

ومن أجل أن يحافظ عليه فيلزم المساجد ذاكراً لله تعالى مستعيناً به ﴿فِي بُيُوت أَذِنَ اللَّه أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ﴾(٣٦-٣٧).

وإلا فإنه سيلهث خلف هواه وشهوته، وعشق النساء ظاناً بأنه سيروي ظمأه من الحب والهوى فإذا هو يتقلب في

ألوان من العذاب على يد معشوقه، فيمسي هائماً على وجهه قد ازداد ظمؤه من الحب والهوى إلى أن يلقى الله على حاله تلك ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾(٣٩) ويرى الدنيا أمامه سوداء مظلمة فيهيم على وجهه تائهاً حيرانَ ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾(٤٠).

اعلم - رحمك الله- بأنَّ النور من الله وحده يمنحه من يراه أهلاً له من عباده ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(٤٠)، وبه حياة القلوب.

وكما أن الماء هو مادة الحياة للأجساد فمنه خلقت، والمخلوقات متفاوتة فيه، فكذلك النور الإلهي هو مادة حياة القلوب.

وتتفاوت فيه الهمم كتفاوت الأجساد بعد خلقها من الماء، فمنهم من يعيش على بطنه وفرجه، ومنهم من تكون همته عالية رأسه وعقله عالياً لا يكون همه الأول بطنه وفرجه، ومنهم ما بين هذا وذاك ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٤٥).

ومن أجل أن تحصل على هذا النور الإلهي فعليك أن تستمع وتتصاع للضوابط والأحكام التي شرعت لك لتحقيق العفة فتفوز به، ولا تكن من أولئك الذين إذا تعارضت الأحكام الشرعية مع شهوته وهواه وعشقه المحرم وتكوين العلاقات المحرمة مع النساء ووجوب غض البصر وتحريم التبرج والقذف وإقامة حد الزنا

تراه يعرض وينأى بجانبه، وإذا ما رأى أجنبياً عشق ابنته أو أخته أو زوجته أخذ ينادي بالشريعة وتطبيقها وثارت حميته ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّه وَرَسُوله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ. وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ (٤٨).

فإن لم تكن كذلك فأبشر بالفوز والتمكين في الدنيا والآخرة ﴿وَعَدَ اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (٥٥).

إن من رحمة اللّه بكم أن جعل لكم استثناءات يتسامح بها لوجود الحرج:

أولها: استئذان المماليك.

ثانيها: من لم يبلغ الحلم من الأحرار، فعليهم الاستئذان في ثلاثة أحوال فقط ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّات﴾(٥٨).

ثالثها: المرأة التي قد بلغت السن الذي لا ترجو فيه نكاحاً فلا بأس من أن تلقي شيئاً من ثيابها أمام الأجانب أحياناً فهذا مما لا ينافي العفة ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَات بِزِينَة﴾(٦٠).

رابعها: الأعمى والأعرج والمريض، فلا حرج عليهم إذا ما ظهر شيء من عوراتهم بلا قصد بسبب أحوالهم﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾(٦١).

خامسها: الأكل من بيوت الوالدين والإخوة والأعمام والأخوال والصديق بلا إذن ﴿وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ..﴾ الآية (٦١). فجميع ما سبق لا تنافي العفة المطلوبة.

واعلم أن حفظ العورات والأعراض بالإقبال على الطاعات، لا بالإعراض عن الله تعالى ورسوله والتخلف عن الأعمال الصالحة من جهاد وحج وعن حضور الطاعات بقصد حفظ العورات في البيوت ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (٦٢)، بل كلما حفظت الله تعالى حفظ عورتك وعرضك إذ له ما في السموات والأرض قال سبحانه:﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ (٦٤).

مما سبق يتبين أن اسم سورة النور يشير إلى مقصد السورة، فاسم السورة مما يعين على معرفة مقصد السورة.

٦- وضوح الموضوع

أحياناً يكون موضوع السورة ظاهراً واضحاً مما يسهل ربطه بمقصد السورة.

سورة يوسف

موضوعها واضح في الحب، وكيف تتعلق القلوب بمحبوبها.

مما يشهد لوضوح المقصد هو محبة كل مسلم قراءة هذه السورة سواء المؤمن والفاسق من أجل أحداث القصة التي تدور حول الحب.

إذ تتكلم السورة عن تعلق القلوب بمحبوبها الأعلى وهو إلهها ومعبودها وخالقها، إذ به سعادتها وفلاحها، فهي أحسن القصص ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.

أولها الخضوع والسجود للمحبوب ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، إذ يجوز في شريعة بني إسرائيل سجود التكريم للمخلوق.

والاحتفاظ بالسر بينه وبين محبوبه لئلا يُحْسَد وتذهب حلاوته ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً﴾.

وشدة حزن القلب لمفارقة المحبوب ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾، وصدق حدسه وظنه تجاه من يحب ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، فقالوا بعد ذلك ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾، والتخطيط الدؤوب والمحاولات المتكررة للوصول إلى المحبوب ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن

نَّفۡسِـهِۦ﴾.
ثـم التجمـل والتهيؤ للمحبـوب وإلقـاء النفـس وطرحهـا بـين يديـه والتضحيـة بأفضـل مـا يملـك لـه ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾.
وتذكـر نعمـة مـن أحسـن إليـك، وعـدم نسـيان فضلـه وعـدم خيانتـه ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾.
والمحـب قـد يغلـظ علـى محبوبـه مـع حنانـه وشـفقته عليـه ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، فأخـرت العـذاب. وهـذه الشـدة مـن أجـل أن يرجـع إليـه ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.
وكمـال الشـرف بذيـاع الصيـت بـأن فلانـاً هـو محبـوب فـلان ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾، لـذا كان أحـب الأسـماء إلـى الله «عبدالله»، وأفضـل وصـف لأخـص الأنبيـاء «رسـل الله»، وأفضلهـا للنبـي ﷺ فهـو «خليـل الله» كمـا قـال ﷺ: «ولكـن صاحبكـم خليـل الله». رواه مسلم (٢٣٨٣).
وكمالهـا باسـتمرار التعلـق بالمحبـوب، والعمـل الـدؤوب للوصـول إليـه عنـد إعراضـه وصدوده ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾.
وكمـال المحبـة باختراقهـا شـغاف القلـب ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، وعـدم المبـالاة بتعييـره عنـد سـعيه الحثيـث للحصـول علـى مرضـاة محبوبـة بـل الفخـر بـه ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾ بـل إشـهاره للعالـم ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾.
وجمـال المحبـوب مـن أكبـر أسـباب التعلق بـه ﴿ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ

أَكْبَرْنَـهُ وَقَطَّعْـنَ أَيْدِيَهُـنَّ وَقُلْـنَ حَـاشَ لِلّهِ مَـا هَـذَا بَشَـراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَـكٌ كَـرِيمٌ﴾، فجمـال اللّه تعالـى أعظـم إذ قـال رسـول اللّه ﷺ: «إن اللّه جميـل يحـب الجمـال» رواه مسـلم (٩١).

ودوام تذكـر المحبـوب واللهـج بذكـره وإن لـم يذكـر اسـمه، فعندما طلبـوا مـن يعقـوب عليه السلام إرسـال بنيامـين تذكـر يوسـف عليـه السـلام ﴿هَـلْ آمَنُكُمْ عَلَيْـهِ إِلاَّ كَمَـا أَمِنتُكُمْ عَلَـى أَخِيـهِ﴾، بـل كل حادثـة

وإن عظمـت تذكـر بالمحبـوب إذ قيـل ليعقـوب عليـه السـلام إن ابنـك بنيامـين أصبـح رقيقـاً تذكـر يوسـف عليه السلام فقـال: ﴿يَـا أَسَـفَى عَلَـى يُوسُـفَ﴾.

ثـم الانشـغال بالمحبـوب الأعلـى عن المحبوب الأدنى، إذ انشـغل بيوسـف عـن بنيامـين، وشـدة الوجـد بالمحبـوب ﴿وَابْيَضَّـتْ عَيْنَـاهُ مِـنَ الْحُـزْنِ فَهُـوَ كَظِيـمٌ﴾.

ومهمـا كان الثمـن المدفـوع عاليـاً كثيـراً مـن أجـل المحبـوب فهـو قليـل بخـس، حيـث لـم يسـتطع شـراء يوسـف عليـه السـلام إلا عزيـز مصـر لارتفـاع ثمنـه، وقيـل: بيـع بوزنـه مـن الذهـب ومـع ذلـك قـال اللّه تعالـى: ﴿وَشَـرَوْهُ بِثَمَـنٍ بَخْـسٍ دَرَاهِـمَ مَعْدُودَةٍ﴾، ومعـدودة تـدل علـى جمـع الكثـرة.

والتـأدب مـع المحبـوب وانتقـاء أحسـن الألفـاظ عنـد التعامـل معـه ﴿وَقَـدْ أَحْسَـنَ بَـي إِذْ أَخْرَجَنِـي مِـنَ السِّـجْنِ وَجَـاء بِكُـم مِّـنَ الْبَـدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّـزَغَ الشَّـيْطَانُ بَيْنِـي وَبَـيْنَ إِخْوَتِـي﴾، إذ لـم يقـل قـد أصبـت بالمصائـب حتـى تحققـت الرؤيـا، ولـم يقـل قـدّر ربـي علـيّ دخـول السـجن، وإنمـا ذكـر موضـع النعمـة

﴿أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، ولم يقل فرق بيني وبينكم إذ نقلت إلى مصر وإنما ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ جمعنا في المدينة موضع الرخاء والراحة، وعزا الشر للشيطان﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

ثم عند كمال الفرح وتمام السرور بالاجتماع بأقرب الناس وأحب الناس إليه يهيج في القلب حب الانفراد بأحب الذوات إليه ومناجاته وهو اللّه تعالى، إذ عند اجتماع الوالدين والأخوة بيوسف عليه السلام بعد دهر من الفراق تَنَحّى يوسف جانباً وانفرد مع اللّه تعالى فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ﴾، ثم هاج قلبه ووجده للقاء اللّه تعالى ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

ولكنّ أكثر الناس بعيدون عن الشعور بهذه العلاقة والمودة بين اللّه تعالى وبين عبده ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، وإن أحبوا اللّه تعالى فهي محبة مشوبة بغيره ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

فاتضح أن موضوع السورة «**كيف تتعلق القلوب بمحبوبها الأعلى وهو الله تعالى**».

واللّه تعالى أعلم، وصلى اللّه وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد ﷺ، والحمد للّه رب العالمين.

المراجع

١- البرهـان في ترتيـب سـورة القـرآن، أحمـد بـن الزبيـر الغرناطـي.
٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي.
٣- دلائل النبوة، البيهقي.
٤- الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى الترمذي.
٥- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري.
٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج.
٧- في ظلال القرآن، سيد قطب.
٨- مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم.
٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
١٠- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي.
١١- النبأ العظيم، محمد دراز.
١٢- نظـم الـدرر في تناسـب الآيـات والسـور، برهـان الديـن البقاعـي.

الفهرس

المقدمة.. ٥

• أولاً: الوحدة الموضوعية لكل سورة.................. ٦

• ثانياً: ارتباط الآيات ببعضها......................... ٦

أولاً: الوحدة الموضوعية لكل سورة.................... ٦

١- الموضوع المشترك بين أول السورة وآخرها ١٣

أ- سورة البقرة ١٣

ب- سورة النساء ١٣

ج- سورة الأنبياء ١٤

د- سورة مريم..١٤

هـ- سورة المؤمنون ١٥

و- سورة القصص ١٥

ز- سورة الروم ١٦

٢- كلمات أو عبارات متكررة في السورة ١٧

أ- سورة المائدة ١٧

ب- سورة الأعراف ١٧

ج- سورة مريم ١٩

د- سورة الصافات ١٩

٣- تميزها ٢١

أ- سورة الأعراف..٢١
ب- سورة الحجر..٢١
ج- سورة طه..٢٤
هـ سورة الصافات ٢٦

٤- الآيات الأخيرة من السورة التي قبلها ٢٧

٥- اسم السورة...٣١
أ- سورة الحجر: ٣١
ب- سورة المؤمنون ٣١
ج- سورة النور..٣١

٦- وضوح الموضوع..٣٧

المراجع ٤١